

الأقلّيات المسلمة في العالم .. دراسة لأوضاعها الإجتماعية والسياسية والفكريّة

الأقلّيات المسلمة في العالم .. دراسة لأوضاعها الإجتماعية والسياسية والفكريّة

ضياء الخرجمي

بسم الله الرحمن الرحيم

بداية المحنة

من خلال المنطلق الشمولي للأمة الإسلامية أنّظمة وشعوبًا لابد من التعرّف ويدقة على حجم المحنة التي تعيشها الأقلّيات المسلمة: جذورها وفروعها وثمارها والأيدي الخفية والمرموزة التي تختلط لها والتي تمارس التنفيذ بطريق مباشر وغير مباشر، ومن ثم الإحاطة التامة بالأقلّيات المسلمة كماً وكيفاً؛ يعني معرفة الأقلّيات وظروفها الاجتماعية والثقافية والسياسية والإقتصادية والنفسية.

ومع الأسف الشديد لا يتوفّر لدينا ولحد الآن إحصائيات دقيقة عن عدد الأقلّيات المسلمة في عالمنا المعاصر لكي يتيسّر لنا الوقوف على حجم المحنة رغم كثرة المؤسسات الإسلامية التي تبدي لنا اهتماماً بها بالمشكلة، وعلى العكس تماماً بالنسبة للأقلّيات غير المسلمة في البلاد الإسلامية؛ لأن لها مؤسساً تها

الجاده المعنية بها ; والتي تتحرك وتخطط من خلال المنطلق العقائدي لامن خلال العواطف والدعایات الفارغة والثرثرة في الكلام.

ان منطلق الاحساس بمحنة الأقليات المسلمة الذي يعتبر بداية الطريق ينبغي أن يكون منشئه تجسيد الواقع المرير الذي تعشه تلك الأقليات لأنه يكشف عن اللامبالاة واللامسؤولية من قبل الأنظمة والمفكرين الاسلاميين وتدين الشعوب المسلمة بالتقسيم تجاهها .

ان الحقيقة التي ينبغي ان لا تغيب عن الذهان من خلال تسلط الأصوات على تلك المحنة التي واجهتها الأقليات الإسلامية تاريخياً هو الدور التخريبي الذي قام به الاستعمار الصليبي في البلاد الإسلامية من إرساء قواعد المحنة لتظل باقية الى الأبد؛ وكذا النفوذ الصليبي والروسي والهندي والبوذى؛ وكذا دور التبشير الذي مهد للاستعمار..

إن أشرس حروب الابادة على الأقليات المسلمة اليوم هي الحروب التي تشن باسم المسيح «ع» وهي في الحقيقة امتداد للحروب الصليبية والتي تركت بصماتها على الأنظمة الحديثة؛ وليس عجيباً أن يشن النظام الشيوعي حروب الابادة على الأقليات المسلمة في الأراضي الواقعة تحت نفوذها؛ فقد طفت على السطح منذ عام 1917م من خلال استعمالها الأساليب والسلوكيات الغوغائية والهمجية والدموية، وقد أسفرت عن وجهها في تخليها عن الدين واعلانها الحرب على الإنسان حتى أصبحت الشيوعية والإنسانية تسيران على طريقين متوازيين لا يلتقيان. وأما الهندوسية والبوذية فقد عملتا هما أيضاً على إبادة المسلمين في أراضيها كما في الهند وبورما وتايلاند وسريلانكا؛ لأنهما وثنتان حاقدتان لا تزالان تعيشان عصر الجاهلية ومحاكم التفتيش.

إن استقراء التاريخ الاسلامي يرى وبوضوح أنه حافل بالصفحات البيضاء الناصعة في معاملة الدول

الإسلامية للاقلیات المسيحیة فیها ولا تزال الیوم تشهد بعدم وجود شکوی واحدة من أقلیة مسيحیة مثلًا فيها بينما ترتفع عشرات الصرخات من معاملة الدول الغربية والشرقية للإسلامية للاقلیات المسلمة فيها .

إن الذي ينبغي ادراکه هو أن الأقلیات المسلمة في العالم المعاصر تواجه تحديات ليست سياسية فحسب، بل تحديات على الصعيد الفكري والحضاري مثل الماركسية والصلبیبة والماسونیة والعلمانية والصهیونیة من دون ان يكون لتلك الأقلیات المسلمة أي نوع من التحدی والمقاومة لأمواج العنف والارهاب الذي تشنده كل تلك المؤسسات المادیة ولاسيما تلك الأقلیات الإسلامية التي لا تملك رصیداً ذا بال يذكر من الفكر الاسلامي الأصیل.

ونتسائل هنا:

ماذا قدمت المؤسسات الإسلامية للأقلیات المسلمة لرفع المحنۃ والحصار بشتى أنواعه المفروض عليها؟ .

وللاجابة على هذا التساؤل ومع الأسف الشديد نقول: في المجال السياسي لم تقدم شيئاً؛ بل أكثر من ذلك كلّه وهو أنّها مازالت تتعامل مع الأنظمة المعادية والمضطهدة للأقلیات المسلمة في بلادها سیاسیاً؛ فمثلاً اندونیسیا التي تعد من أكبر الدول الإسلامية تشتراك في حلف يضم في أعضائه الفلبين وتايلاند اللتان مارستا الأساليب البشعة والوحشية في حربهما ضد الأقلية المسلمة.

وأما على الصعيد المادي فإنه يبعث على الحیاء والخجل الشديد، فلما زالت الدول المسلمة الفقیرة تعیش على القروض والمعونات التي يقدمها الصندوق الدولي لها، وأما الدول البترولية فنراها مثلًا تقدم المعونات للمؤسسات الإسلامية في الهند عام 1984م خمسة ملايين دولاراً؛ بينما تلقت مؤسسات التبشير المسيحي هناك ما يبلغ حوالي مائة وعشرين مليونا من الدولارات في نفس العام، وقد دفعت أمريكا وحدها 60% بالرغم من الفارق الكبير بين عدد المسلمين وعدد المسيحيين في الهند.

واما على الصعيد الروحي والفكري فلم تبذل المؤسسات الإسلامية للأقليات المسلمة سوى القليل جدًّا؛ فالفارق كبير جداً بين المبعوثين المسلمين سواء من الأزهر أو رابطة العالم الإسلامي بمكة وغيرهما وبين عدد المبشّرين المسيحيين في نفس الدولة؛ فالمبشرون المسيحيون يمتلكون من الإمكانيات المادية والثقافية ووسائل التبشير ما لا يملكه المسلمون، وفي الواقع يمتلك المبشرون المسيحيون إستراتيجية وبرمجة في العمل يفقدها المسلمون.

إن المسلمين بما فيهم تقديم الكثير للأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر متى أحسوا بالمحنة وعقدوا العزم على العمل من أجل رفع المستوى المادي والمعنوي لها وذلك من خلال إستراتيجية ناجحة وخطط وبرامج مكثفة ومستمرة لرفع الوعي الثقافي والسياسي والإجتماعي لاستيعاب أكبر عدد ممكن من المسلمين.

إن عوامل النجاح لهذه الإستراتيجية ترتكز على عدة أمور:

منها: التخطيط القائم على دراسة موضوعية شاملة، وتوفير الإمكانيات المادية والمعنوية معاً.

ومنها: دراسة موضوعية لمعوقات النجاح من خلال استقراء الارتجال الذي يتجاهل التخطيط، والإمكانات الضعيفة التي تحتويها؛ ومعرفة التقلبات السياسية على الصعيد المحلي والدولي.

ومنها: معرفة المواجهة وكيفية التصدي لحل المشكلات التي تعانيها المؤسسات الإسلامية سواء من الداخل أو ما تأتيها من الخارج.

عملية التذويب للأقليات المسلمة

إن عوامل التذويب ومحاربة الإسلام اليوم أقوى مما كانت عليه في أي وقت مضى باعتبار الإسلام فكراً وعقيدة، فالحرب اذن تدخل ضمن إطار الفكر والثقافة التي تدور رحاها في أعنف صورة في العالم المعاصر ويحاول الغرب أن يبذل أقصى جهده لكسب المعركة الثقافية والفكرية؛ باعتبار أن ثقافته إذا سادت إقليمياً فلا تلبث أن تنتلاشى شخصية هذا الأقليم في شخصية الغرب ومن توابعه.

وإليك نموذجان من سياسة التذويب، ففي آسيا مثلاً وحسب الاحصائيات يبلغ عدد الأقليات المسلمة حوالي ما تئين وسبعين مليوناً يمثل نسبة تساوي 12% من عدد سكان الدول التي تستوعب هذه الأقليات المسلمة، وبلغت أكبر الأقليات المسلمة في الصين مثلاً أكثر من مائة مليون أي أكثر من 10% ثم الهند أكثر من ثمانين مليوناً أي 12% ثم الاتحاد السوفيتي حيث يضم أكثر من خمسين مليوناً أي حوالي 19%. لقد تحرك أعداء الإسلام هناك في عدة محاور للإطاحة بالإسلام وتذويب مبادئه عقيدة وشعوباً وهي: الصلبية والشيوعية والصهيونية وكذا الهندوكية التي تعمل وبشراسة في الهند، والبوذية في تايلاند وبورما، ومع الأسف لا يعلم الرأي العام الإسلامي شيئاً عما يجري من سياسة التذويب الذي تقوم به البوذية والهندوكية ضد الأقليات الإسلامية. وقد شارك الإعلام الغربي والشرقي في عملية التذويب وكان لهما الخط الأوفر في تلك التعميمية؛ ولا أثر للإعلام الإسلامي في كل تلك التهديدات لإتخاذه سياسة التبعية لتلك الدول العظمى والتي بيدها مصير الشعوب المقهورة والأنظمة الحاكمة التي تقوم بحفظ مصالحها جهد استطاعتها؛ فهو يفقد التعبير عن الإرادة المستقلة وحرية التعبير عن الرأي لأن فاقد الشيء لا يعطيه كما قيل.

فالصراع بين الإسلام وخصومه قائم في كل مكان ولن يتوقف مادام في الفكر والعقيدة وبعبارة أخرى صراعاً ثقافياً حضارياً. إن الصراع في آسيا هو صراع فكري ثقافي وسياسي وحضاري، فالتبشير الصلبي تحركه العقيدة في هذه القارة من العالم وهو في نفس الوقت يمهد للسياسة التي هي الاستيلاء على

مقدرات الشعوب المسلمة عقيدة ونظاماً وشعوباً ومن ثم بسط النفوذ الإستعماري فيها، وأما الحروب الصليبية فقد حركتها العقيدة مستهدفة السلطة على البلد الإسلامية وبسط النفوذ السياسي عليها، فهي متسمة بسمات الدين منطلقة من البابوية في روما وهي تتظاهر بانقاد القدس وقد كان هدفها أكبر كما قال ذلك «غاردنر» «أن الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس.. إنها كانت لتدمر الإسلام» ولم تكن الهجمات الإستعمارية في القرنين الأخيرين على البلد الإسلامية إلاً امتداداً للحروب الصليبية؛ قال الجنرال الفرنسي الصليبي بعد أن انتصر في «ميسلون» خارج دمشق بعد توجهه إلى قبر صلاح الدين الأيوبي عند الجامع الأموي وقد ركله برجله: ها قد عدنا يا صلاح الدين ([1]).

ولقد هنا «جورج» وزير خارجية بريطانيا يومئذ «اللنبي» في البرلمان الإنجليزي لانتصاره في آخر حملة من الحروب الصليبية والتي سماها: الحرب الصليبية الثامنة. قال «با ترسون سمث» في كتابه: باعت الحروب الصليبية بالفشل.. لكن حادثاً خطيراً وقع بعد ذلك حينما بعثت إنجلترا بحملتها الصليبية الثامنة ففازت هذه المرة.. إن حملة – النبي – على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى هي الحملة الثامنة والأخيرة» ([2]).

إن الخطة المدروسة حول محنـة، الأقليات المسلمة لا يمكن فصلها عن محنـة الإسلام ككل لأن مخططات الأعداء هي ملاحقة الإسلام في أي مكان.. والمحنة في آسيا لا تعمل من خلال الأشخاص بل من خلال العقائد والإيديولوجيات، ففي إفريقيا مثلاً بدأ نشر الأفكار بصورة التبشير لتمهيد السيطرة والنفوذ ثم بصورة الماركسية لتوسيع النطاق في إفريقيا، وأما الصهيونية فلا تتجاهل دورها في إفريقيا؛ فقد تسللت في غفلة من زمن الأمة العربية والإسلامية وعملت في سائر الدوائر تحت ظل الحماية الأمريكية والإمبريكية والنفوذ الأوروبي. وأما في آسيا فإنها تختلف تماماً عن دورها في إفريقيا؛ لأنها حسبت نفسها أنها دولة!! ولا يهم أنها ولدت من سفاح أو قامت على أرض مغتصبة.. قال الاستاذ عبد الله التل: إن الجسد الصهيوني قائم في فلسطين؛ ولكن رأس الأفعى تسعى في كل شبر من المعمورة، ولذلك فهي تنطلق من فلسطين من آسيا، وابتلعت أرضاً وشعباً في آسيا، وتأمرت على الخلافة الإسلامية ومركزها الرئيسي في آسيا واحتلت الجولان السوري والجنوب اللبناني في آسيا ..

وأما في إفريقيا:

فقد مثل المسلمين فيها أكثر من خمسين في المائة من سكانها، وتمثل الوثنية والمسيحية واليهودية

البقية منها؛ ولم تتوفر إحصائية دقيقة حول مسلميها؛ وقد كان للأنظمة وبيطل الإستعمار دوراً هاماً في عملية التزيف.. إن الصراع قائماليوم في افريقيا على أشدّه وأشرسها بين الإسلام من جهة وخصومه من جهة أخرى وهي تمثل بالثالوث: التبشير والصهيونية والماركسيّة.. يوجد في افريقيا أكثر من ستين دولة وتمثل الدول ذات الأكثريّة المسلمة أكثر من 30% وفيها تبلغ نسبة المسلمين زهاء 80%， وتبلغ نسبة المسلمين في الدول الإسلاميّة أكثر من 30% ولعل هذا الاحصاء غير دقيق لأن الدوائر الغربية هي التي ذكرته في إعلامها معتمدة بالدرجة الأولى على الهيئات التبشيرية، وعلى كل حال؛ فلا غرابة في أن نعدّ القارة الافريقية قارة إسلامية، وليس المشكلة هي حفظ الأسماء وإنما هي الحفاظ على المسميات..

لقد ألقى الإستعمار بذور المحنّة في افريقيا وقد أثمرت هذه البذور فيها وما هذه المحنّة التي تعانيها الأمة الإسلاميّة المعاصرة إلاّ شاهداً حيّاً على صدق المدعى. إن مهمّة الإستعمار لم تكن سياسية وإقتصادية من السيطرة وإمتصاص خيرات البلاد وفتح أسواق جديدة لمنتجات الدول الإستعماريّة فحسب، بل وعوائقية أيضاً للزحف على البلاد الإسلاميّة وإيقاف المد الإسلامي وتحديد نشاطه وتجميده. وأخيراً نتوقف في هذه المحطّات الرئيسيّة من خلال الدراسة لأحوال افريقيا وهي:

أ - تعدّ قارة افريقيا قارة إسلامية من ناحية الكم لا الكيف.. وهي تدور حول عدة محاور: منها التبشير لحساب الصليبيّة، وإسرائيل لحساب الصهيونيّة، وروسيا لحساب الشيوعيّة؛ وكل من تلك المحاور يحاول أن يصبّغها بالصبغة العقائديّة أو الایديولوجية وقد يستعمل وسيلتان في ذلك هما: النفوذ سياسيّاً كان أم إقتصاديّاً، والفكر عقائديّاً كان أم إيديولوجيّاً؛ ووسيلة ثانوية هي العمالة.

ونلقي الضوء على التبشير؛ فإنه لم يعد بذلك المعنى الذهني وهو التبشير السلمي الذي يناقش بالرأي، ولم يعد مجاله الطبيعي هو البيانات الوثنية في أغوار افريقيا بل هو تحدي للإسلام وإعتقاداته، ومحاولات جادة لتنصير المسلمين، ومحطّات التبشير أو التنصير تزعم أنها حدّت زمناً معيناً لتصبح قارة افريقيا قارة مسيحيّة، بينما المسيحيّة الآن لا تزيد على 20% وزمناً معيناً لتحويل اندونيسيا أكبر دولة مسلمة إلى دولة مسيحيّة بينما لا تمثل المسيحيّة فيها أكثر من 1%， وسائل الإرساليات

والبعثات المسيحية في افريقيا على صلة وثيقة بالفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي وأمريكا ودول اوربا الغربية، وقد قام بابا الفاتيكان بزيارة أخيراً الى بعض دول افريقيا وكانت «كينيا» هي الهدف ليشهد قداسته تعميد المسلمين الذين تنصروا..

وأما اسرائيل:

إإنها تحركت وبسرعة في افريقيا فأقامت علاقات دبلوماسية وثقافية واقتصادية مع العديد من دول افريقيا ومنها الدول المسلمة فيها وكان كل ذلك بخطيط ودراسة وضعتها ثم قامت بتطبيقها وتنفيذها بعد قيامها، وقبل عام 1952 ولم يكن في نيجيريا ذات الأغلبية المسلمة يهودي واحد، ولم يأت عام الاستقلال 1960 حتى كان الخبراء اليهود يملئون شوارع العاصمة (لاجوس) وقد سيطروا على اقتصاد نيجيريا ولم يفطن لذلك أحد.. وقد مهدت الصهيونية جنباً الى جنب الإستعمار لاختيار أول رئيس جمهورية بعد الإستقلال عام 1960 وكان مسيحياً هو الدكتور «أزيكو» بحجة أنه المثقف الوحيد الجدير بهذا المنصب؛ وهكذا قاما بنفس الدور في تشاد والسنغال حيث عين في تشاد أول رئيس للجمهورية كان قسيساً نشاً في مدارس اللاهوت وكذا في السنغال.. ونذكر ما قام به الصهيونية والاستعمار من إرتكاب أخس الجرائم بأخس الاساليب في نيجيريا في 15 يناير عام 1966 من كتاب «الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام» ما يلي: المعروف أن نيجيريا يتالف اتحادها من أقاليم ثلاثة هي الإقليم الشمالي وفيه الأغلبية الساحقة من المسلمين وزعيمه «أحمد وبيللو»؛ والإقليم الشرقي والمسيحيون فيه أغلبية بزعامة الدكتور «أزيكو» وقد نصبه الاستعمار أول رئيس للجمهورية، ثم الإقليم الغربي وهو خليط من المسلمين والمسيحيين والوثنيين... ولما كانت زعامة «أحمد وبيللو» تمثل خطراً كبيراً، فقد قرروا التخلص منه ونجحوا بوسائلهم القدرة حتى قيل: إن اسرائيل أنفقت مليونين من الجنيهات الاسترلينية على المؤامرة عام 1966، وحينما استنفذ اليهود كل محاولات الاغراء والتهديد والتآمر لزحزة البطل عن موقفه الإسلامي الشجاع، لجأوا الى سلاح الإغتيال، فاستأجروا ضباطاً مسيحيين من الإقليم الشرقي ونفذوا مؤامتهم البشعة التي راح ضحيتها البطل وأسرته ورئيس الحكومة الفيدرالية وبعض أقطاب المسلمين السياسيين والعسكريين.

وأما الشيوعية في افريقيا :

فقد بدأ زحفها عملياً في افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية وقد سبقها الإستعمار الغربي فأرادت أن تعوض ما فقدته طوال تلك السنين وهي لاتبغي مجرد الدخول في صراع ايديولوجي مع الرأسمالية الغربية فحسب، بل تهدف الى تحقيق السيطرة والنفوذ السياسي من أجل إشباع نزعته فهي تعطي أكثر مما تأخذ

يعكس الإستعمار الغربي فإنه يأخذ أكثر مما يعطي.. حتى قدّر له أن ينهب ثروات إفريقيا ويفتح أسواقه الشاسعة لاستثمارها... وكانت الشيوعية تعتمد كثيراً على العملاء ليكون لها المد الأفقي.

لقد كانت إفريقيا بحراً ولاتزال كذلك وخاصة في المجال الفكري الإسلامي أي الفكر العقائدي والسياسي معاً الذي يكون كفؤاً لمواجهة التحديات.. وهذا الحكم لا ينطبق على الدول ذات الأقلية المسلمة وحدها، بل يشمل الدول ذات الأكثريات المسلمة أيضاً.

إن الفكر الإسلامي ليس عاجزاً بذاته عن المواجهة، ولكن المسؤولية ملقة على المسلمين أنفسهم في التصدي لهذا المدّ الجارف، فإنه لاشك في أن فتح المدارس وبناء المساجد تؤدي دوراً؛ ولكن الدور المنشود هو توظيف هذه المنشآت من خلال وضع خطة سليمة ومنهج بناء وداعية يحملون فكراً إسلامياً أصيلاً ويتقنون توظيف هذا الفكر الأصيل.. إن القوى المعادية للإسلام كالصليبية والماركسية والصهيونية أو المناهضة له كالماسونية والقاديانية والعلمانية أحدهما تستهدف تقويض البناء والصرح الإسلامي، والأخرى تستهدف تجميد المضمون الإسلامي لتسود أفكارها، وهكذا تقف إفريقيا بإسلامها أمام خطر مزدوج... وينبغي أن لا نتناسى إن عنصري التحدي، الإسلام من جهة، وخصومه من جهة أخرى ليسا متكافئين في مقومات التحدي وخاصة في الجانب المادي والسياسي، فالاموال التي تغدق على المؤسسات المعادية تصل إلى مئات اضعاف الاموال التي تنفق على المؤسسات الإسلامية.

أرقام وشواهد.. حول عملية التذويب للأقلية المسلمة

ذكرنا إن هناك دوائر مهمة كانت تمارس المحنـة - محنة الأقلية - المسلمة - من خلالها.. فالصليبية وإن انتقمت طارهاً وخفاءً إلى دين سماوي إعترف به الإسلام نفسه ولم يضر له الشر يوماً ما أبداً؛ في يوم كانت الدولة الإسلامية تعيش عصرها الذهبي كانت الأقلية من أهل الكتاب تعيش في كنفها في مضمون

العدل كقوله تعالى: «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل» فإن هذه السماحة التي تضمنها الإسلام تقابل اليوم من الجهات المعادية له بالعكس. ولا ينسى الدور الإмирكي الذي لعبه في إفريقيا منذ الإسلام في مجال دعم الإرساليات التبشيرية وقد أنشأ جسراً جوياً بينها وبين «أديس أبابا» لتسهيل مهمة وصول الإمدادات ومن ثم تصفية الإسلام في «أريتيريا». وأما في آسيا فإنها تعتبر عنصراً أساسياً في صناعة المحنة؛ كما نراه في لبنان والإرساليات التبشيرية التنصيرية في «اندونيسيا» والتي زكرت رايتها النتنية الأنوف ولا يحتاج اثبات ذلك إلى دليل.

وإذا أردنا أن نتمسك بظاهر اللطف بالنسبة للأقليات المسلمة في مواجهة المسيحية فإن اختيارنا للأقليات المسلمة في الفلبين هو النموذج الأمثل للمحنة لأن فيها يجتمع على الأقلية المسلمة الفكر والسيف معاً؛ يمثل الفكر الإرساليات التبشيرية والتنصيرية، ويمثل السيوف الجيش الرسمي وهو معاً يحاولان جاهدين لتحقيق تصفية للوجود الإسلامي عن طريق القوة.

أما الفلبين:

إنها تقع في الشرق الأقصى وفي المحيط الهادئ وتتكون من 7100 جزيرة وعدد المسلمين فيها حوالي خمسة ملايين من عدد السكان المضاهي إلى خمسين مليوناً، ويطلق على الجماعة المسلمة «المورو» وقد وصل الإسلام إلى الفلبين مبكراً نسبياً في أواخر القرن السادس الهجري وكان الغزو الإسباني عام 1521م فوجد إمارات إسلامية في جزر الفلبين أشهرها إماراة الشريف أبي بكر في «صولو»، وقد بدأ غزو الإسبان للفلبين في صورة من مجموعة سفن الكشوف بقيادة الرحالة «ماجلان» وهم يحملون حقد الصليبية على الإسلام، وقد استسلمت الفلبين للإسبان وبقيت جزر الجنوب المسلم مستعصية على جميع المحاولات التي بذلها الإسبان لغزوها، ولما يأسوا من فتحها انصرفوا إلى المناطق الأخرى يوطدون بها سلطاناً، ويبشرون فيها بالكاثوليكية وقد كان الاستعمار والتبشير يسيران جنباً إلى جنب ([3]).

وظل الاستعمار الإسباني حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وهو أطول استعمار في التاريخ حيث مكث قواه في الجزر الفلبينية 377 سنة كانت أمريكا قد فرقت من القضاء على النفوذ الإسباني في أمريكا الجنوبية ثم وجهت وجهها نحو الشرق الأقصى للقضاء على النفوذ الأوروبي فأخفت مطا معها كعادتها دائماً

وارتدت رداء المخلص الذي يأخذ بيد الشعوب المغلوبة؛ فلجأت إلى الثوار الفلبينيين لطرد الإسبان وحينها كانت تفاوض إسبانيا في باريس على شراء الجزر الفلبينية مقابل خمسة ملايين دولاراً عام 1898م سقطت «مانيللا» واستولت أمريكا على مقاليد الأمور.. وعندما افتتحت أمريكا عاد الثوار يمارسون نشاطهم ضد الغزاة، لكن في عام 1941م احتلت اليابان الفلبين ودمرت الإسطول الإمبريالي في – بيل هاربر – ولم يستسلم الشعب الفلبيني لليابان إلا بعد أن ألقى أمريكا القنبلة الذرية الأولى على «هiroshima» ثم الثانية على «ناكازاكى».

وبعد إستقلال الفلبين يقول مؤلف كتاب «الفلبين»: إن بقاء مسلمي الفلبين إلى اليوم يعد في حد ذاته معجزة فريدة في تاريخه، فقد تعرضوا لحرب إبادة تميزت بالعنف والوحشية بلا مراعاة لأي تقاليد حربية أو إنسانية، فقد كان القضاء على الخصم ومحوه هو الهدف الأكبر مهما تكون بشاعة الوسائل التي تتحققه وما يثير الدهشة حقاً أن التاريخ الفلبيني المدون لم ينظر إلى هذه المقاومة الباسلة للمسلمين في وجه الاستعمار الإسباني باعتبارها جزءاً من رصيد البطولات التاريخية لأبناء الفلبين، بل نظر إليها على أنها أعمال قرصنة!! واعتبر شهداء المسلمين الذين سقطوا في معارك الحرية قرامنة لا أبطالاً يفخر بهم الوطن، ولاشك أن الاستعمار الإسباني ترك بصماته وأنه كان حريصاً على إيجاد فجوة بين المسلمين والمسيحيين!!.

وأما في اندونيسيا:

فهي وإن كانت تشمل الأكثريية من المسلمين كماً ولكنها في الواقع أقلية كيماً والمحنة تلاحق الكيف، ونحن عندما نتحدث عن دولة مسلمة لا نعني أنها تتمتع بأغلبية أو أكثرية في عدد سكانها، بل الأهم إن قدرة تلك الدولة يمكنها أن تحمي دماء المسلمين وحرماً لهم أم لا!! وحسبك أن اندونيسيا أصبحت خاضعة اليوم لسيطرة الإرساليات التبشيرية وخاصة الكاثوليكية والبروتستانتية ومن خلفها النفوذ الأمريكي وتدعيم الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي مادياً ومعنوياً ..

لقد كانت اندونيسيا هدفاً للاستعمار الصليبي البرتغالي والإنجليزي والهولندي على مسار ثلاثة قرون ونصف القرن، عانى فيها الشعب أهواً تجلّ عن الوصف، وفي الحرب العالمية الثانية غزتها اليابان

ولاقى الشعب من اليابان معاناة فاقت حد الخيال ولما كانت اندونيسيا مركز التقليل الإسلامي في جنوب شرقي آسيا، فقد ركزت مخططات التبشير عليها أملًا في أن يتحقق للملقبية حلماً يراود أذهانها طويلاً.. ومن خلال إقامة المؤتمرات الدولية فيها قرروا تنصير المسلمين في جزيرة «جاوة» البالغ سكانها 60 مليوناً خلال العشرين سنة القادمة وتنصير اندونيسيا كلها خلال الخمسين سنة القادمة؛ ولذا عول التبشير هناك على أن يصبح دولة خلال دولة لها مطارات وشبكات إذاعية خاصة تحكم في الدولة الأصل وتتملي عليها شروطها وهكذا أصبحت القارة الصئيلة سادة والكثرة الساحقة عبيداً. ونصبوا «سوهارتو» أول رئيس جمهورية للبلاد وكان عند حسن ظن الاستعمار الصليبي.. قال مؤلف (الأفعى اليهودية في معتقد الإسلام) إن صلته بالإسلام شبيهة بصلة الذئب، وكان بدايته سلوكه تجاهلاً صريحاً للإسلام وإعلان الحرب على الحركات الإسلامية وتشجيعاً سافراً للحزب الشيوعي والإرساليات التبشيرية، وأعلن «سوهارتو» عن مبادئه الخمسة التي تقوم عليها فلسفة الحكم والحياة هناك هي: الإيمان بالله، الإنسانية، القومية، سيادة الشعب، العدالة الاجتماعية، وتخليص من أصحاب الثورة الحقيقية، وشجع التبشير المسيحي بصورة لم يسبق لها مثيل، وجعل الحكومة تسهم في نفقات الإرساليات، بل وعين 260 راعياً من القسس في الجيش على نفقة الدولة بالطبع، ولأول مرة في تاريخ الإسلام في اندونيسيا انتقلآلاف المسلمين إلى المسيحية تحت سمع الحكومة المسلمة وبصرها !! وكانت النتيجة أن قفز عدد المسيحيين إلى ضعف عدهم أيام الاستعمار الهولندي.. ولم يكتف «سوهارتو» بأن جعل أكبر دولة مسلمة في حوزة الإرساليات التبشيرية، بل سعى حتى جعل الدولة المسلمة الكبيرة في قبضة الشيوعيين اقتصادياً وسياسياً، وارتکب مذبحة الجنرالات المسلمين بالجيش في أكتوبر عام 1965م في محاولة إنقلاب شيوعية باعث بالفشل ودفع الشيوعيون الثمن بما هضاً ..

إن الأيدي التي تعمل للتبشير لم تعد خفية تماماً إلا في حدود التخطيط والتنسيق وهذا ما تقتضيه طبيعة الأشياء لنجاح وتحقيق الأهداف. إن المخططات الصليبية تكتف من نشاطها حيث توجد الكثرة المسلمة التي تحاصرها الحاجة والفاقة.

قال الدكتور «غارودي» المفكر الفرنسي المسلم في محاضرته التي ألقاها في ندوة الفكر الإسلامي العالمي في ماليزيا عام 1984م: إن ما يؤسف له هو أن أفق دولتين في العالم أحدهما في إفريقيا (مالي) والثانية في آسيا «بنغلادش».. وأما محنة بنغلادش؛ فقد ذكر المودودي في رسالة موجزة بعنوان:

(نحن وبنغلادش) حديثاً يشا به الحديث عن اندونيسيا؛ وذكرت جريدة «النور» الواقية في عام 1985م تحقيقاً عن «بنغلادش» جاء فيه: إن هناك ما تعي منظمة تبشيرية تنظيمية، وان ميزانيتها مليار من الدولارات لتنصير شعب مسلم ينتمي إلى ثانية أفرقة دول العالم، ودستورها علماني، وقد شجع المنظمات التبشيرية على مضايقة نشاطها، وتنصر الكثير من الأقباط مقابل الغذاء والكساء؛ وان حوالي ما تعي ألف من السكان يموتون جوعاً كل عام.

وأما الشيوعية فهي أيضاً كانت تهدى الدول الآسيوية وبسطت أجنبتها على معظم مساحتها، فالعديد من الدول المسلمة ذات الأقلية الساحقة ابتلعتها الشيوعية كألبانيا، والصين الشعبية وغيرها.. قال الاستاذ أحمد طلعت في كتاب «المسلمون في روسيا»: إن الأقليات المسلمة في عهد القبصيري تعاني من أشد المحن، فالحكم قائم على الدين «الارثوذكسي» والمسلمون يسمون «الماركون».. ولقد أبلى المسلمون بلاء حسناً ضد القبصيري واعترف زعماؤهم بذلك.. إن آخر الإحصائيات تقول: إن عدد المسلمين داخل الاتحاد السوفيتي خمسون مليوناً، ويلاحظ أن عدد الولايات أو الأقاليم الستة عشرة منها ستة أقاليم يمثل المسلمون فيها أكثرية تبلغ في بعضها 95% وبالطبع تلاشت هذه الأكثريات وتحولت إلى أقلية؛ فألغت المحاكم الشرعية في المناطق الإسلامية عام 1926م، ومنعت النشطة الأدارية الدينية وأشتدت حملات الإرهاب الشرسة ضد المسلمين فاعتقل ابتداء من عام 1928م أكثر من مليون ونصف المليون من المسلمين، وفي عام 1929م أغلقوا وهدموا أكثر من عشرة آلاف مسجد، وأكثر من أربعة عشر ألف من المدارس الإسلامية وتتبع الشيوعية أساليب ترجو من ورائها إذابة المسلمين وتمبيع كيانهم، وكان لمحنة الأقليات المسلمة في الاتحاد السوفيتي أبعاداً ذات خطورة لا يتصورها عقل بشري وخاصة ونحن في القرن العشرين؛ حيث هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية، ولجنة حقوق الإنسان والقانون الدولي العام.

ونعود إلى أفريقيا:

وهذه المرة إلى «الحبشة» التي كانت تعد أولى دول أفريقيا التي فتحت الباب على مصراعيه للتسلل المهيوني في هيئة خبراء ومستشارين اقتصاديين وسياسيين وفي إثر العدوان الثلاثي «إنجلترا، فرنسا، إسرائيل» على مصر أواخر عام 1956م حيث أرسل أميراطور الحبشة «هيلاسلاسي» معونة إلى إسرائيل تضمنت عشرات الآلاف من رؤوس الماشية، وكانت أشرس دوائر المحن وعمليات التدوير للأقليات المسلمة في تلك الفترة، بل لقد واجه الإسلام الحرب في الحبشة على مسار خمسة قرون أو تزيد على أيدي أجداد «هيلاسلاسي» وحلفائهم من البرتغاليين والفرنسيين والطليان والإنجليز؛ إلا أن ما واجهه الإسلام على يد «أسد لهودا

- هيلاسلاسي» يفوق في بشاعته كل الذي ذاقه على مر القرون الماضية ([4]).

قال الأستاذ عبد الله التل في كتابه الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام: كانت خطة «هيلاسلاسي» لابادة المسلمين والقضاء على الإسلام فيما يلي:

1 - حرمان المسلمين من التعليم وتلقي الثقافة الإسلامية ولغة العربية.

2 - مصادرة أموال المسلمين وأملاكهم بهدف إفقارهم.

3 - هدم ما تبقى من مساجد المسلمين وإقامة الكنائس على أنقاضها.

4 - تنصير أبناء المسلمين بالقوة، ونشر الهيئات التبشيرية في جميع البلاد الإسلامية وفرض تقديم العون المالي لها على المسلمين.

5 - الفتك بال المسلمين وقتلهم في مجازر جماعية بحجة العصيان ضد الدولة وتدمير قراهم وتشريدهم في الجبال.

6 – ابتلاع معاقل الإسلام المحبيطة بالحبشة لسد الطريق أمام أية عملية لاستنقاذ مسلمي الحبشة، وبالتالي استئصال شأفة الإسلام نهائياً.

7 – حرمان المسلمين من الاتصال الخارجي والギلولة دون اتصال المسلمين من الخارج ب المسلمين الحبشة.

8 – حرمان المسلمين من وظائف الدولة برغم أنهم يمثلون 60% من عدد سكان الحبشة.

9 – فرض الضرائب الباهضة على المسلمين والسماح للكنيسة بالسلط على المسلمين وبمصادرة أموالهم وأملاكهم لصالحها .. وهناك ضريبة خاصة فرضت عليهم تسمى «ضريبة الكنائس» وهي فريدة من نوعها.

وأما في الغرب... فإن الأقليات هناك على درجة واحدة من حيث الكيان الذاتي ومن حيث المحنّة أيضاً وإن مصادر المحنّة هناك تتركز في الشيوعية والمليبية، والنشاط الصهيوني يؤدي أخطر الأدوار في هاتين الدائرتين.. ونشير إلى مسألة هامة هي: أن مسألة الأقليات القليلة العدد نسبياً وعلى سبيل المثال: في النرويج عشرة آلاف مسلم، وفي السويد خمسة وعشرون ألفاً؛ وفي فنلندا أقل من ثلاثة آلاف مسلم، وكلها تعيش محنّة الاهتمال من العالم الإسلامي.

وأما التحديات التي تعانيها الأقليات المسلمة في بريطانيا فقد قال الأستاذ عبد المجيد بكر في كتابه «الأقليات المسلمة في أوروبا»: يواجه المسلمون في بريطانيا العديد من التحديات من أبرزها العنصرية والتعصب؛ ولقد جاهد المسلمون طويلاً من أجل اعتراف بريطانيا بالاقليات المسلمة، فمن التحديات وسياسة التدويب التي أستعملت هي: مشكلة عدم تدريس الدين الإسلامي، والزواج المختلط.. إننا لانزال عاجزين عن

تصور الحقيقة الكاملة غير المنقوصة بسبب العزلة التي فرضتها قوى الشر من أعداء الإسلام على معظم الأقلية المسلمة؛ فالاقليات المسلمة تواجه مأساة يندى لها جبين العالم الإسلامي الذي أصبح يعيش في غيبة مزمنة لا يفيق منها أبداً.. وبالرغم من أن محنـة الأقلية المسلمة تستصرخ العالم الإسلامي لكي يحاول التدخل جهد إستطاعته ولكن العالم الإسلامي ليس لديه أي تفكير في التدخل، بل ليس لديه أية خطوة عمل للتدخل وأزاء هذه السلبية المطلقة التي يستمرأها تتصاعد محنـة الأقلية المسلمة في العالم يومياً..

إن^٣ ما تقوم به بعض الهيئات الإسلامية من إبداء أحاسيسها بالمحنة التي تعيشها الأقلية المسلمة أحياناً فهي وإن شُكِرت على ما تبذله من جهود وكونها ممولة مادياً إلاً أنها غير مدعاة سياسياً من أنظمة العالم الإسلامي ولا هيئات سياسية دولية كمنظمة الأمم المتحدة على عكس مجلس الكنائس العالمي.

الخطوة لاعادة بناء شخصية الاقليات المسلمة

ذكرنا أن محنـة الأقليـات المـسلـمة في العـالـم حـقـيقـة مـرـة وـاقـعـة، وـإـذـا كـانـت الـقوـى الـمعـادـية لـلـإـسـلام هـي أـصـلـ الـمـحـنـة، فـإـنـ العـالـم إـسـلامـي بـدـورـه أـيـضاً مـرـتكـبـ جـرـيمـةـ السـكـوتـ عنـ الـجـرـيمـة.. فـالـأـقـلـياتـ المـسـلـمةـ فيـ الـوـاقـعـ مـكتـوـيـةـ بـجـرـيمـتـيـنـ مـعـاً.. فـمـاـذا قـدـمـتـ الـمـؤـسـسـاتـ إـلـاسـلامـيـةـ لـلـأـقـلـياتـ المـسـلـمةـ لـكـيـ تـخـرـجـ منـ أـصـلـ الـمـحـنـةـ، وـمـاـذا يـجـبـ عـلـيـهاـ أـنـ تـقـدـمـ؟!.. وـالـإـجـابـةـ عـنـ التـسـاؤـلـ: أـنـ العـالـمـ إـسـلامـيـ لمـ يـقـدـمـ شـيـئـاًـ عـلـىـ الـمـسـطـوـيـ الرـسـميـ، وـلـاـ يـكـفـيـ ماـ تـقـدـمـهـ الـهـيـئـاتـ الـخـاصـةـ!!!.. وـنـحـنـ نـلـخـصـ أـصـلـ مـحـنـةـ الـأـقـلـياتـ المـسـلـمةـ بـكـلـمـةـ «ـالـتـعـصـبـ»ـ أوـ «ـتـصـفـيـةـ إـسـلامـ»ـ وـنـلـخـصـ مـوـقـفـ الـعـالـمـ إـسـلامـيـ «ـبـالـلـامـبـالـاـةـ،ـ السـلـبـيـةـ،ـ التـخـاذـلـ»ـ.

أما «التعصب» الذي هو المصدر الأساسي للمحنة وهو قائم من قبل دوائر الصليبية والصهيونية والشيوعية والهندوكية والبوذية التي تريد كلها تصفية الوجود الإسلامي بشرياً وفكرياً؛ والماسونية ومشتقاتها فإنها تكتفي بالتصفية الفكرية والمعنوية عن طريق السيطرة على الرؤوس الكبيرة.

إن الخطة الوحيدة للخروج من هذه المحنـة هي عبارة عن وضع إستراتيجية هادفة وبناءة، ولكن لا يمكن توفر هذه إلاّ إذا تـوفـرت النـواـيا الـخـالـصـة والـعـزـائـم الصـادـقة، وهذا يقتضـي أن يتـبـنىـ العالم الإـسـلامـيـ أـنـظـمة وـشـعـوبـاً، هذهـ القـضـيـةـ كـلـهـاـ، وـمـعـنـىـ ذـلـكـ انـ يـصـبـحـ العـالـمـ الإـسـلامـيـ وـحدـةـ سـيـاسـيـةـ مـسـتـقـلـةـ لـاتـدـينـ بـالـتـبـعـيـةـ لـلـقـوـيـ الـمعـادـيـةـ لـلـإـسـلامـ، بلـ تـدـينـ بـالـولـاءـ لـلـإـسـلامـ وـحـدـهـ..

إن الخروج من هذه المـحـنـةـ الـتـيـ حلـّـتـ بـالـأـقـلـيـاتـ الـمـسـلـمـةـ يتمـ بـمـرـحلـتـيـنـ:

الـأـوـلـىـ: تـوـافـرـ وـحدـةـ سـيـاسـيـةـ قـوـيـةـ لـلـعـالـمـ الإـسـلامـيـ.

الـثـانـيـةـ: خـطـةـ لـلـعـمـلـ..ـ بـعـدـ تـوـفـرـ الـمـرـحـلـةـ الـأـوـلـىـ.

ولـ حـصـلـتـ هـاـتـانـ الـمـرـحـلـتـانـ فـاـنـ، الـمـرـحـلـةـ الـأـخـيـرـةـ اـمـاـ تـكـوـنـ عـنـ طـرـيـقـ الـقـوـةـ أوـ الـسـيـاسـةـ؛ـ وـالـحـلـ الـأـوـلـ غـيرـ مـقـبـولـ الـيـوـمـ؛ـ وـالـحـلـ السـلـمـيـ أـيـ سـيـاسـةـ الـمـقـاطـعـةـ يـوـاجـهـ بـعـضـ الـعـقـبـاتـ بـسـبـبـ الـوـاقـعـ الـمـرـيـرـ الـذـيـ تـعـيـشـهـ الـأـمـةـ الـمـسـلـمـةـ الـمـعاـصـرـةـ، لـأـنـ أـيـ دـوـلـةـ فـيـ الـعـالـمـ الإـسـلامـيـ تـفـتـقـدـ الإـسـقـلـالـ الـذـاـتـيـ الـحـقـيـقـيـ مـاـ دـامـتـ لـمـ تـصـلـ بـعـدـ الـدـرـجـةـ الـاـكـتـفـاءـ الـذـاـتـيـ إـقـتـصـادـيـاـًـ أوـ عـسـكـرـيـاـًـ اوـ سـيـاسـيـاـًـ!ـ وـتـبـعـاـًـ لـذـلـكـ تـتـخـذـ قـرـارـاـتـهاـ السـيـاسـيـةـ الـخـارـجـيـةـ بـحـذـرـ بـلـ اـثـارـةـ فـتـنـةـ عـلـيـهـاـ.ـ وـنـحـنـ نـصـارـحـ بـهـذـهـ الـحـقـيـقـةـ وـهـيـ:ـ إـنـ الـجـامـعـةـ الـعـرـبـيـةـ مـضـىـ عـلـىـ تـأـسـيـسـهـاـ أـكـثـرـ مـنـ أـرـبـعـينـ عـامـاـًـ وـلـاتـزالـ عـلـىـ قـيـدـ الـحـيـاةـ وـلـكـنـ مـعـ الـأـسـفـ لـاـيـزـالـ اـعـصـاؤـهـاـ عـلـىـ خـلـافـ فـيـ الرـأـيـ وـهـمـ أـعـزـرـ مـنـ أـنـ يـتـخـذـوـ قـرـارـاـًـ مـوـحـدـاـًـ بـسـبـبـ الـتـبـعـيـةـ..ـ

إن المـخـرـجـ مـنـ هـذـهـ الـمـحـنـةـ لـاـ يـتـأـتـىـ بـمـعـونـاتـ تـقـدـمـ إـلـىـ الـأـقـلـيـاتـ الـمـسـلـمـةـ وـلـاـ عـنـ طـرـيـقـ الـمـؤـتـمـراتـ الـتـيـ

تنعقد و تتخذ قرارات وتوصيات ليست ملزمة على الإطلاق.. ولكن المخرج لا يأتي إلا من طريق واحد؛ ليس هو طريق الهيئات والمنظمات الإسلامية التي تخضع لسياسة الدول التي تتبعها، وإنما هو طريق الأنظمة في البلاد الإسلامية، بمعنى أن تبني الدول المسلمة القضية لا الهيئات والمنظمات وحدها، ولو أن الانصاف يقتضي عدم إهمال دورها أيضاً، وإذا عجزت عن تبني القضية فعلى الأقل لا ترتكب سياسات تصدم مشاعر الأقليات المضطهدة، ثم مشاعر الشعوب المسلمة المتبنية للقضية بقلوبها ومشاعرها، وأدنى مظاهر السلوك غير السوي الود المتبادل بين الأنظمة في الديار الإسلامية والدول التي تذيق الأقليات المسلمة الأمرين.. بالإضافة إلى التعاون السياسي والإقتصادي.. والأدء والأمر أن بعض الدول البترولية تصدر البترول إلى الدول المعادية للإسلام والتي تعلن حرب الإبادة على الأقليات المسلمة في بلادها كالفلبين..

إذن المطلوب هو وجود إستراتيجية للعمل لا تعتمد وحسب على النوايا الطيبة، بل كذلك على العزائم الصادقة، وكل إستراتيجية لها مقومات نجاحها.. وهي ترتكز على مقومات ثلاثة:

أولاً: التخطيط القائم على الدراسة الموضوعية بحيث تشمل كل جوانب المحنـة المادية والنفسية وسائل التحديات.

ثانياً: توفر الأمكانات المساعدة مادياً ومعنوياً وسياسياً

ثالثاً: التأهيل الشامل للقائمين بالفكرة، دارسين ومفكّرين..

وأما معوقات النجاح فهي مرتكزة على ثلاثة أمور:

أولاً: الارتجال الذي يتجاهل التخطيط الشامل ويعتمد على العواطف دون الحقائق، وعلى الشكل دون الجوهر.

ثانياً: التقلبات السياسية المحلية والعالمية والتي قد تقصي على الحركة أو على الأقل تعزّز مسارها.

ثالثاً: ضعف الإمكانيات المضورية أو على الأقل عدم ترشيد إنتاجها.

هذا وأن لإيقاظ الشعوب والوعي لدى الأمة المسلمة دوراً رئيساً وذلك عن طريق القيادات الفكرية الناضجة والدعوات والحركات الإسلامية الرشيدة حتى تتبني محبة الأقليات المسلمة لا كطارة تثير العواطف ولكن كقضية لها المقام الأول من اهتماماتها ...

والحمد لله رب العالمين

([1]). القومية والغزو الفكري – جلال العالم.

([2]). نقلت مجلة الطليعة القاهرية عدد ديسمبر 1966م عن حياة المسيح الشعبية.

([3]). الفلبين: محمد يوسف عدس – دار المعارف بالقاهرة 1969م.

([4]). انظر الافعى اليهودية لعبد الله التل.